

• دريافت ١٤٠١/٠٢/٠٥

• تأييد ١٤٠١/٠٨/١١

دراسة رواية «الحريق» لمحمد ديب في ضوء نظرية البنيوية التكوينية لغولدمان

أزاده منتظري*

محمود رضا توكلی محمدي**

علي باقر طاهري نيا***

الملخص

علم الاجتماع الأدبي أو سوسيوولوجيا الأدب تعد من الاتجاهات الجديدة التي ظهرت في مجال الأدب وتوسعي إلى دراسة العلاقة بين الأدب والمجتمع، وفي هذا الحقل قد طرح لوسيان غولدمان نظرية البنيوية التكوينية على أساس التفاعل بين النص الأدبي وبنية المجتمع التحتية. قد استهدفت هذه المقالة على أساس المنهج الوصفي التحليلي، دراسة سوسيوولوجية لرواية «الحريق» لمحمد ديب، الكاتب الجزائري المعاصر، وفقاً لهذه النظرية. في هذا الصدد تمت دراسة عناصر من السياقات الدلالية للرواية مثل معرفة الوعي الحالي والوعي المحتمل للشخصيات، البطل الإشكالي، والوعي الفردي. كانت النقطة الجديرة بالملاحظة هي عدم تحول شخصيات الرواية طوال الرواية وعدم تحول وعيهم الحالي إلى الوعي الممكن. وفي النهاية يجب القول بأن محمد ديب قد أجاد في تقديم الصورة الاجتماعية للجزائر، ورسم السياقات الدلالية للرواية والتي ظهرت على الصعيدين الاجتماعي والسياسي في الرواية من الفقر المدقع للشعب الجزائري بسبب اظطهاد الفرنسيين، والضعف الثقافي القاتل، وجهود الناس لتغيير الوضع وغير ذلك من السياقات الاجتماعية والسياسية التي أثرت في محمد ديب وسببت كتابة هذه الرواية الخلافة.

الكلمات الرئيسية: الدراسة السوسيوولوجية، البنيوية التكوينية، محمد ديب، الحريق.

a.montazeri@qom.ac.ir

mr.tavakoli@cfu.ac.ir

btaheriniya@ut.ac.ir

* أستاذة مساعدة قسم اللغة العربية بجامعة قم (الكاتبة المسؤولة)

** أستاذ مساعد قسم اللغة العربية بجامعة فرهنكيان

*** أستاذ قسم اللغة العربية بجامعة طهران

مقدمه

يعدّ النقد الاجتماعي للأدب من المناهج الجديدة التي وُلدت ونشأت تحت ظلّ صلة الأدب بالنظريات الاجتماعية المعاصرة عامة والماركسية خاصة، وهو منهج يجمع بين الأدب والمجتمع في مختلف السطوح والمستويات محاولاً رفع الستار عن هذه الصلة بينهما، ويجري اهتمام الناقد الاجتماعي في فهم هذه الظاهرة محاولاً توضيحها، وكشف الستار عن غوامضها وما يتعلق بها. «تعدّ قضية العلاقة المتبادلة بين المجتمع والأدب من القضايا التي قد لفتت انتباه عدد ملحوظ من النقاد منذ القديم؛ المادة الرئيسية للأدب هي اللغة... وعندما يستخدمها شاعر أو كاتب للتعبير عن مفاهيم موضوعية وعقلية، فإننا نفسرها بالأدب؛ إذن فمن الممكن أن نعدّها اجتماعية في ذاتها حسب مادتها المكوّنة منها.» (ولك، ١٣٧٣: ٩٩) «هناك من يحاول تحديد ماهية الأدب من خلال ربطه بغيره من الظواهر... وخلافاً لكل ما تقدم، ثمة من يرى أن الأدب شكل جمالي خالص أو عمل فني بحت... ولا صلة لها بخارج النص؛ وعلى عكس هؤلاء يرى الآخرون أن الأدب تعبير بالكلمة عن موقف الأديب من العالم، أو أنه أداة تعبير طبقية، أو أنه صياغة لتجربة إنسانية عميقة، أو أنه استخدام خاص للغة لتحقيق هدف ما.» (الماضي، ١٩٨٦: ١١) لطالما نظر المفكرون في مفهوم الارتباط بين المجتمع والأدب، فعندما يتحدث أفلاطون في كتابه «الجمهورية» عن الصلة بين الشاعر وشعره، وبين الجمهور، ويرفض التأثير الإيجابي للشاعر في الحياة الاجتماعية للجمهور، بطريقة ما يبدأ مناقشة العلاقة بين الأدب والمجتمع؛ «مفهوم المحاكاة الأفلاطونية يضمّن فهم الأدب كصورة تعكس المجتمع.» (دستغيب، ١٣٨٧: ٨٠) ناقش أرسطو قضية المحاكاة بعد أفلاطون وبين الأواصر بين الصورة الفنية والواقع الاجتماعي؛ لذلك لم يتجاهل أحد ربط العمل الأدبي والفني بعالم المجتمع والتطورات الخارجية: «لقد أدرك العالم اليوم جيداً ضرورة إجراء بحوث متعدد التخصصات وفراغ وجود علوم جديدة تؤدي إلى هذا الهدف، واستجاب لهذه الحاجة من خلال إنشاء

تخصصات علمية متكاملة.» (غولدمان: ١٣٨١: ١٥) فمن هذا المنطلق قد أطلق عنوان النقد الاجتماعي على كل نقد يتم في إطار المباحث النظرية لهذا العلم. قد أدرك أدباء العرب ظهور هذا العلم من خلال دراسة النظريات الأدبية الغربية؛ «إن النقد الأدبي العربي بدأ يتحول منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري بعد غزو نابليون لمصر إذ أنه أدى إلى دراسة النقد الأدبي الغربي، وظهور مدارس جديدة، وازدهار دراسات شرقية وأبحاث جديدة في الأدب.» (امامي، ١٣٧٧: ٥٩)

حاول محمد ديب، الشاعر والكاتب الجزائري، أن يقدم صورة موضوعية ومنوعة للمجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة التي انتهت إلى تحرر البلاد من نير الاستعمار في ثلاثيته "الدار الكبيرة، الحريق والنول" التي تعدّ من الروايات التي تكون على صلة وثيقة بالقضايا الاجتماعية لمجتمعه الجزائري. يسلط الكاتب الضوء في الثلاثية على إحدى الجوانب والمجالات الرئيسية لحياة الناس في الجزائر آنذاك، ويكشف عن آثار الاستعمار فيها، كما أنه يعرض في روايته أوضاع القرويين الجزائريين، ويتطرق إلى الوضع البائس المرير لهم. يرمي البحث الحاضر، ووفق المنهج الوصفي - التحليلي، إلى دراسة سوسولوجية لرواية "الحريق" بناء على نظرية "البنوية التكوينية" للوسيان غولدمان ومناقشة السمات الاجتماعية فيها وفق هذه النظرية في مرحلتي "الاستلام" و"الشرح" على أساس موضوعها ومحتواها، وهي سرد قصة في فترة بداية الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، أيضا سيتكلم عن مدى تأثير البيئة الاجتماعية كبنية تحتية في كتابة هذه الرواية. التطرق إلى الأحداث السياسية والاجتماعية في الجزائر قبيل الحرب العالمية الثانية قد حدا الكاتب إلى نقد المجتمع وإظهار آرائه الاجتماعية تجاهه؛ ومن الواضح في دراسة هذه الرواية أن الوضع السياسي والاجتماعي للجزائر إبان حرب استقلال هذا البلد كان مادة محمد ديب الأدبية لكتابة الرواية. فعلى هذا الأساس يرجع سبب اختيار الرواية إلى كتابتها وفقاً للبنى التحتية للمجتمع الجزائري في مرحلة تاريخية محددة تعاني فيها الجزائر من الاستعمار

الخارجي من جهة والضعف الثقافي والعلمي والانحطاط الأخلاقي من جهة أخرى وهذه الظروف، مهدت السبيل لدراسة الرواية على ضوء هذه النظرية الاجتماعية. أهمية هذا البحث وأمثاله تتبلور في أهمية القضايا المتعلقة بالنقد الاجتماعي للأدب، والظروف الاجتماعية والثقافية للجزائر في الفترة المعاصرة، وأيضاً قلة البحوث الاجتماعية النقدية في الأدب الجزائري. أما الأسئلة التي يحاول البحث الحاضر أن يجيب عليها بين دفتيه فهي:

١. ما هي أهم المكونات الاجتماعية والثقافية لرواية «الحريق» في إطار نظرية البنيوية التكوينية؟
٢. كيف أثرت البنى التحتية للمجتمع الجزائري في كتابة هذه الرواية؟

خلفية البحث

حاز محمد ديب، الكاتب الجزائري المعاصر، على العديد من الجوائز نظراً لشهرة أعماله ورواياته؛ فقد تمّ بعض الدراسات حول هذه الروايات في مختلف الدول العربية وكذلك في إيران. ومن أعماله في هذا المجال ثلاثية تتكون من ثلاث روايات: الدار الكبيرة والحريق والنول، بعض البحوث التي أجريت حول هذه الثلاثية عبارة عن: مقالة "تحليل جامعه شناختی جنگ استقلال الجزائر وبارزنامی آن در آینهی ادبیات: النقد الاجتماعي لحرب الجزائر وانعكاسها في الأدب" بقلم فريدة علوى وزينب رضوان طلب، في مجلة مطالعات جهان، العدد ٢، سال ١٣٩٢ ش. في هذه المقالة، تدرس الكاتبتان حرب الاستقلال الجزائرية (١٩٥٤-١٩٦٢ م) وتبحثان عن انعكاسها في الأدب الجزائري. المنهج في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي وطريقة جمع الموارد، المكتبة.

مقالة "نقد جامعه شناختی داستان الدار الكبيرة اثر محمد ديب: النقد الاجتماعي لرواية الدار الكبيرة لمحمد ديب" بقلم فاطمه قادري وسميه پوراميناي، مجلة "نقد ادب

معاصر عربي"، العدد ٧، شتاء ١٣٩٣ ش. حاولت الكاتبتان في هذه المقالة وعلى المنهج الوصفي التحليلي، دراسة دور فرنسا في استعمار الجزائر وانعكاسه في رواية الدار الكبيرة من منظور اجتماعي، وفي المجالات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية والثقافية، هذه المقالة تطرق بين دفتيها إلى الفقر والجهل والتخلف والاختناق وأفات المجتمع الجزائري وانعكاسها في رواية الدار الكبيرة.

أطروحة "الاتجاه الواقعي في الرواية الجزائرية، محمد ديب نموذجاً" التي كتبت على يد صبرينة بلغيت عام ٢٠١٤، وأعدت في جامعة أبوبكر تلمسان. تم إنجاز هذا البحث في مستوى البكالوريوس ودرست الكاتبة فيها بعض السمات العامة في الرواية الجزائرية فيما يرتبط بالاتجاه الواقعي.

مقالة "المكان وأثره على الشخصيات في ثلاثية محمد ديب (الدار الكبيرة والحريق نموذجاً)" قد أعدها محمدرضا أحمددي وخلييل پرويني، والمنتشرة في مجلة الدراسات الأدب المعاصر. العدد ٢٩، ١٣٩٥ ش. قد تناول الكاتبتان في هذا المقال تأثير المكان على الشخصية في الرواية وقد اختارا روايتين، الدار الكبيرة والحريق من ثلاثية محمد ديب.

أطروحة "المقاربة الاجتماعية في رواية الحريق لمحمد ديب" لعائشة نملي ونسيمه دحاك، عام ٢٠١٧م بإشراف الدكتور مصطفى وليد يوسف في مرحلة الماجستير في جامعة العقيد بالجزائر. المنهج العلمي في هذه الأطروحة هو المنهج الوصفي التحليلي، وتم استخراج المعلومات من المصادر المكتبية. من النقاط الجديرة بالملاحظة في هذه الرسالة أن الكاتبتين لا تذكران سوى مجموعة من النقاط العامة والغامضة في مجال النقد الاجتماعي، وما تعنتقان في مجال التحليل والنقد أي منهج خاص مثل آراء لوكاش أو غولدمان أو الآراء الماركسية التي تستدعي في مجال النقد الاجتماعي.

مقالة "تطبيق بساستعماري شخصيت اصلى ورقيب در رمان روستايي الجزائر

وابران، مطالعه الحريق ديب وتوب ساعدى"، بقلم مسعود محمدى خانقاه والآخرين، مجله الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية وآدابها، عدد ٥١، ١٣٩٧ش. في هذه المقالة، يبني الكاتبون أعمالهم على النظريات النقدية المعاصرة، ومجال أبحاثهم في هذه المقالة هو إيران بعد الاستعمار الروسي، والجزائر بعد الاستعمار الفرنسي. قد حاول الكتاب مقارنة الشخصية الرئيسية في روايتي "توب" لساعدي و"الحريق" لمحمد ديب، على ضوء المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن، والمنهج الوصفي التحليلي لإدراك الفرق بين تصرفات البطل في هاتين الروايتين.

وفي الختام، تجدر بالإشارة إلى أن رواية الحريق وإن تم تحليلها من خلال دراسة ثلاثية محمد ديب، ولكنها كانت من زوايا مختلفة غير الذي هذه الدراسة تقصده، ولم يتم إعداد بحث مستقل عنها من منظور النقد الاجتماعي ولا نظرية البنيوية التكوينية على الإطلاق، الأمر الذي حدا الكاتبين إلى إنجاز بحث حولها في هذا المقال.

النقد السوسولوجي

«يتفق معظم الباحثين على أن الإرهافات الأولى للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب ونقده بدأت منهجياً منذ أن أصدرت الكاتبة والروائية الفرنسية مدام دوستال (١٨١٧-١٧٦٦) كتابها "الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية" عام ١٨٠٠م و"عن ألمانيا" عام ١٨١٣م، تتحدث فيه عن دور عامل الهوية القومية وعلاقته بالوسط الاجتماعي وتأثيراتهما في الإبداع والذوق الفني والقول الأدبي. فقد تبين أن مبدأ الأدب تعبير عن المجتمع.» (هويدي، ١٤٢٦: ٩٤) تم وضع الأسس الأولى لعلم اجتماع الأدب في فرنسا في بداية القرن التاسع عشر على وجه التحديد، إذ أن ظهور الثورة الفرنسية والثورة الصناعية وكذا ظهور النظام الرأسمالي والصراعات الطبقيّة الناتجة منها لعب دوراً هاماً في تشكيل النقد الاجتماعي، ولأجل هذه الأحداث الهامة في فرنسا، وأيضاً لأجل التأثير القوي للثورة الفرنسية على المعادلات السياسية

والاجتماعية في أوروبا في ذلك الوقت، بدأ علم الاجتماع والنقد الاجتماعي يجد طريقه من هذا البلد إلى دول أوروبية أخرى وكذا دول أخرى في العالم. «الاجتماعية التي وردت في مجال العلاقات القائمة بين الأدب والمجتمع منذ نشأتها إلى تطورها، تقوم بشرح أهم النظريات والمفاهيم فيها إضافة إلى عرض تاريخي موجز، وتحديد نسبي لبعض المناهج الأدبية التي تتصل بالمجتمع والقضايا الاجتماعية.» (أبوشقراء، لاتا: ٣٩)

«لقد أثر علم الاجتماع الأدبي في الحركة الأدبية النقدية بحيث اتسع نطاقه وانقسم بدوره إلى فروع متعددة: علم اجتماع القراءة، علم اجتماع النص، علم اجتماع الأجناس الأدبية، علم اجتماع الرواية على نحو ما ظهر عند لوسيان غولدمان. (تومي، ٢٠١٤: ٢٣٨) فعلى الرغم من أن الرواية قد كتبت تقليدياً للواقع والإنسان والعادات والحالات البشرية، وتعكس بنية المجتمع بطريقة خاصة إلا أن كاتبها يحاول بمساعدة خياله ومقدرته الفنية، خلق مغامرة تعبّر عن الغرائز والعواطف البشرية وترسم الرغبات والطابع أو تصف أحداث رائعة تجذب انتباه القارئ. (ستوده، ١٣٧٨: ٤٤)

فالنقد السوسولوجي يخرج الأدب من بُعد الفردية ويدخله في سياق أوسع، وهو دراسة العلاقة المتبادلة بين الأدب والمجتمع. في هذا الصدد، رغم أن الأديب له مكانة كمبدع للعمل الأدبي، إلا أن هذه المكانة لم تعد فردية بل من وجهة النظر هذه، يعتبر الأديب ممثلاً لطبقته الاجتماعية. يتبلور أهمية هذا النقد في موضوع هام هو «أن الإنسان بناءً على الوضعية الموجودة في مجتمعه يحاول أن يأتي بإجابة دلالية حيال ما يحدث فيه ويسعى أن يراعي التوازن بين الفاعل [الكاتب] وبين الموضوع [الجامعة].» (باسكادي، ١٣٧٦: ٥٦)

الماركسية والنقد الاجتماعي

«يعدّ النقد السوسولوجي للأدب من إحدى المناهج الجديدة نسبياً في البحث

الأدبي، المنهج الذي يتطرق الناقد فيه إلى استقصاء بنية العمل الأدبي ومحتواه، ويدرس علاقتها ببنية المجتمع وتطوراته الذي وُلد منه النص الأدبي، والأهم في هذا النقد هو انعكاس صورة المجتمع في العالم الخيالي والفني للأعمال الأدبية والأشكال المختلفة.» (عسكري، ١٣٨٧: ٤٣) بعد ظهور العقائد الماركسية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وانتشارها الواسع في الأوساط الأوروبية، هيمنت تلك العقائد سيطرتها على قسم أعظم من النظريات الاجتماعية. «اعتقد ماركس بأن الاقتصاد يعدّ بنية تحتية وظيفته إنشاء السياسة والحكومة والدستور والفن والأدب.» (عسكري، ١٣٨٦: ٤٧) فاعتقد النقد الماركسي بوجود ارتباط واضح بين الاقتصاد (البنية التحتية) والأدب (البنية الفوقية). «كان للمفكر المادي الماركسي تأثير عظيم في تطور المنهج الاجتماعي وإكسابه إطاراً منهجياً وشكلاً فكرياً ناضجاً.» (منتظري، ١٣٩١: ١٤٣) رؤاد هذا النقد اعتقدوا بأن المهم في نقد النصوص الأدبية هو تقييم ارتباط هذه النصوص مع الأحداث الاجتماعية والاقتصادية وانعكاس هذه الأحداث وكيفية في تلك النصوص. «تدور الفكرة الماركسية حول محور الأساس الاقتصادي للمجتمع (البنية التحتية) الذي يحدد طبيعة الأيديولوجيا والمؤسسات والممارسات (كالأدب) التي تشكل البنية الفوقية لذلك المجتمع، وبما أن الأدب بنية فوقية تعكس الواقع الاجتماعي والاقتصادي للبنية التحتية، إذن لابد من وجود علاقة حتمية مباشرة بين القاعدة والبنية الفوقية، فأى تغير في قوى الإنتاج المادية، لابد من أن يحدث تغييراً في العلاقات والنظم الفكرية.» (تومي، ٢٠١٤: ٢٣٥)

فعلى هذا المعيار، النصوص الأدبية العظيمة التي ما تطرقت إلى مثل هذه الموضوعات تدرج في الدرجة الثانية من الأصالة والاعتبار في الفكرة الماركسية. «فسوسولوجيا الأدب... تتناول المقومات النفسية للأديب، التي ترتبط ارتباطاً جذرياً بمقوماته العرقية والظروف الزمانية والمكانية للبيئة التي نشأ فيها وترعرع والبيئة العائلية والوسط الاجتماعي.» (اسكارييت، ١٩٩٩: ١٠) بعد هؤلاء النقاد الذين تعدّ

نظرياتهم النقدية وإنتاجاتهم العلمية، الإرهاصات الأولى للنقد الاجتماعي، ظهر ناقدان بارزان يلمع نجمهما في سماء النقد الاجتماعي، فحاولا أن يأتيا بجديد في هذا الميدان، فتقدم النقد الاجتماعي تحت ظل نظريتهما خطوة بل خطوات إلى الأمام، ألا وهما جورج لوكاتش وتلميذه لوسيان غولدمان.

غولدمان ونظرية البنيوية التكوينية

يعدّ لوسيان غولدمان، جنبا إلى جنب جورج لوكاتش، أحد أبرز منظري النقد الاجتماعي. «ولد غولدمان في بوخارست عام ١٩١٣م، وقد حصل على الدكتوراه في الأدب الفرنسي في جامعة السوربون عام ١٩٥٦م من خلال أطروحته "الإله الخفي" التي أثار فيها لأول مرة مسألة تكافؤ الوضع الاجتماعي والاقتصادي مع الأعمال الأدبية.» (فاضلى، ١٣٧٤: ١١٩) اتبع غولدمان نظرية لوكاتش في النقد الاجتماعي وقدم نظرية أطلق عليها "البنيوية التكوينية"، «البنيوية التكوينية هي دراسة البنية الاجتماعية لفترة يتم تناولها في محتوى النص الأدبي. لذلك، فإنّ الغرض الرئيسي منها هو العثور على روابط في نص أدبي أو فلسفي، والتعرّف على الأيديولوجية السائدة على خلفية النص التاريخية. إن غولدمان على صدد تبين كيفية انعكاس الموقف التاريخي لمجموعة أو طبقة اجتماعية في الأدب من خلال أيديولوجية لتلك الطبقة.» (علايى، ١٣٨٠: ٢٧) طرح غولدمان مفهوم البنية الدلالية لأول مرة من خلال نظرياته وأولى اهتماماً خاصاً للبنى الدلالية ووجهات النظر الأيديولوجية، والبنى الفكرية والثقافية، وكذا البنى التحتية الاجتماعية في نظريته التي كانت استمراراً لنظرية لوكاش، ولكن في نطاق أوسع. «من وجهة نظر غولدمان، إنّ البنية الدلالية هي عالم عمل أدبي تم إنشاؤه للاستجابة لحالة معينة والتي يحققها الباحث ببصيرته.» (طلوعى ورضايى: ١٣٨٦: ٦)

يعتقد غولدمان صراحة بأن عامل الإبداعات الثقافية ليس فرداً بوحده بل وجهة

نظر عام لمجموعة من الناس، ويكون الكاتب واحداً منها كفرد، ويعطي لوجهة نظر تلك المجموعة شكلاً فنياً خاصاً. (غولدمان، ١٣٧١: ٣٢١) وفقاً لنظريته، الأيديولوجية عبارة عن التفكير السائد على فترة زمنية محددة لشعب ما. يعتقد غولدمان في منهجه البنيوية التكوينية بالجهات الفاعلة الجماعية (الفاعل الجمعي) ولا الفاعل الفردي؛ «يعتبر غولدمان أن الفاعل الجماعي أو الفاعل الجمعي هو المبدع الحقيقي للمنتجات الثقافية، وخاصة الأعمال الأدبية، وهكذا، في الدراسات الاجتماعية، يتم تقديم العناصر ذات المعنى كظواهر اجتماعية بحتة ولا فردية.» (فراروتي، ١٣٧٧: ٢٢٤) بعبارة أخرى إنه يرى أننا في الأبحاث الأدبية لا نواجه مع شخص أو الكاتب نفسه كفاعل، بل إننا إزاء نظرة شمولية أو أيديولوجية، والكاتب يعتبر كممثل لإظهار ذلك التفكير والأيديولوجية. «النص الأدبي عند غولدمان بنية متولدة عن بنية أشمل وأعمق، هي البنية الاجتماعية للجماعة أو الطبقة التي يمثلها المبدع، ولهذا لا بد من دراسة العمل الأدبي للكشف عن مدى تجسيده للبنية الفكرية للطبقة الاجتماعية التي يعبر عنها.» (تومي، ٢٠١٤: ٢٤٠) وفي هذه النظرية نواجه أيضاً سياقات دلالية، بمعنى أننا في العمل الأدبي نواجه سياقاً يشير بطريقة ما إلى أيديولوجية معينة ورؤية فئوية يدافع عنها الكاتب أيضاً. هو أطلق عنوان "الديالكتيك" أو "الجدلية" على العلاقة التي تشكلت على أساس التأثير والتأثر بين الإنسان والعالم، وأخذ هذا المعنى من معتقدات ماركس الاجتماعية.

تستند نظرية غولدمان على فرضية أن أي سلوك بشري هو محاولة للقيام باستجابة دلالية لموقف معين، وهذا هو سبب وجود رغبة في تحقيق التوازن بين الفاعل والعالم، وللقيام بذلك يقدم غولدمان مرحلتين في دراسة الأعمال الأدبية؛ المرحلة الأولى تسمى "الاستلام" والمرحلة الثانية هي "الشرح". في المرحلة الأولى يجب على الناقد أن يحاول فهم النص الأدبي ضمن بنيته الداخلية، وفي المرحلة الثانية عليه أن يحاول شرح النص الأدبي في إطار بني سياسي واجتماعية وتاريخية واقتصادية للمجتمع.

ملخص رواية الحريق

كتب محمد ديب روايته هذه متأثراً بالبيئة الجزائرية السياسية والاجتماعية قبيل الحرب العالمية الثانية، المرحلة التي تعاني فيها الجزائر من الاستعمار الفرنسي المباشر والأمراض والآفات الاجتماعية والفقر الثقافي المدقع. تتناول هذه الرواية القضايا التي تحكم المجتمع الجزائري من الواقع المرير للاستعمار فيها، والفقر الاقتصادي والثقافي للشعب، والصراع بين الأمة الجزائرية المظلومة وبين المحتلين الفرنسيين، والاختلاف بين الحياة الحضرية والحياة الريفية، والاختلافات الطبقيّة، والوضع المؤسف لحياة المزارعين في الجزائر، والأمراض الاجتماعية، واستقطاب المجتمع وكذلك الفجوة العميقة بين الأغنياء والفقراء من جهة، وبين السكان الرئيسيين للجزائر والفرنسيين المهاجرين فيه من جهة أخرى. البطل الاشكالي في الرواية شاب اسمه عمر؛ في صيف عام ١٩٢٩م، سافر عمر مع جارتته زهور إلى منطقة بني بوبلان التي تبعد حوالي ثلاثة كيلومترات عن تلمسان. هو يقصد الذهاب إلى منزل أخته التي تعيش هناك لقضاء الصيف في العمل في المزارع. هذا السفر يحدث تحولاً كبيراً في حياة عمر، إذ إنه في تلك المنطقة يتعرف على فلاحين من مثل بن رباح وبعادوش وقره علي وبن أيوب. هذا التعارف يؤدي إلى حدوث قضايا هامة في حياته، الأمر الذي يعرف في نظرية غولدمان تحت عنوان الوعي الممكن. في بداية وصوله إلى القرية، يلتقي بأطفال من نفس العمر الذين يعيشون في فقر مدقع، وفي التالي يصادف رجلاً يدعى كومندار الذي قد فقد رجليه في الحرب. يتحدث كومندار مع عمر عن حقائق تحكم الجزائر، وهذا الأمر يغير نظرة عمر إلى ما يجري في بلاده؛ بعد مضي الأيام يشاهد عمر اجتماع الفلاحين ويسمع حواراتهم حول الحديث عن الاضطهاد الفرنسي، ونهب ممتلكات المزارعين، وتحويل الفلاحين إلى عبيد للفرنسيين، وما إلى ذلك. مثل هذه الأمور في الرواية تشكل البنى التحتية التي تدرسها البنيوية التكوينية في مرحلة الاستلام كي تصل إلى آثارها في مرحلة الشرح. ثم يجيء شخص ثوري من

تلمسان يُدعى حميد سراج، هو يدعو الفلاحين إلى الإضراب من أجل وقف الظلم الذي تعرضوا له؛ يعنى الانتقال من الوعي الحالي إلى الوعي الممكن وفقاً لنظرية البنيوية التكوينية؛ سرعان ما يتطلع المستوطنون ورجال الدولة الفرنسيين على هذه الاحتجاجات ويقومون بسجن حميد سراج وتعذيبه، ويتعرض المزارعون للتعذيب والسجن أيضاً. يحاول الفرنسيون كسر الإضراب بطرق مختلفة مثل الوعد بأجور أعلى وظروف عمل أفضل أو التهديد بطرد الفلاحين من المزارع... ولكن مساعيهم باءت بالفشل بعد الفشل، وتضرم نيران الإضرابات والاحتجاجات في كل ناحية؛ ولكن في ليلة سوداء يحدث حادث يغيّر مسار الأمور، فتضرم النيران فجأة في أكواخ الفلاحين الذين قد شاركوا في الإضراب، وتسبب هذا الحريق يأساً شاملاً وخوفاً مظلماً وتشريداً بين الفلاحين، ولكن بقيت نار الاحتجاج في القلوب مشتعلة كالنار تحت الرماد.

النقد السوسولوجي لرواية الحريق

بالنظر إلى أن الرواية، من ناحية هي الشكل الأدبي الأكثر شهرة وأهمية، ومن ناحية أخرى هي صورة موضوعية لمنظور الكاتب وإدراكه للحياة التي صوّر الوضع الفكري والثقافي فيها آنذاك، إذن فإن هذا النوع الأدبي يعدّ من أهم الوثائق لعلم اجتماع الأدب. (أدهمي، ١٣٩٠: ٤٣) إن غولدمان باتباعه طريقة لوكاتش، واستناداً على نظرية النقد الماركسي، قام بدراسة الأعمال الأدبية واستقصاءها في مرحلتها "الاستلام" و"الشرح" في إطار النقد الاجتماعي، على هذا الأساس قام البحث الحاضر بدراسة رواية الحريق على ضوء نظرية البنيوية التكوينية وتحليلها في هاتين المرحلتين وفقاً لما جاء به غولدمان في هذه النظرية.

المرحلة الأولى: الاستلام

يعتقد غولدمان بفهم النص الأدبي قبل الولوج في نقده اعتقاداً تاماً راسخاً وبعدّ كل عمل نقدي في النص قبل فهمه وفهم الروابط الحاكمة عليه والإطار الفني له،

محكوماً بالفشل. «قبل البحث عن الروابط في النص الأدبي والطبقات الاجتماعية في فترة كتابة النص، من الواجب أن يُفهم النص ومعناه الداخلي، كما يكون من الضروري التقييم الجمالي للنص كعالم محدّد من الناس والأشياء التي أنشأها الكاتب الذي يحدثنا من خلال النص.» (غولدمان، ١٣٧٦: ٢٥٣) فبناءً على هذه النظرية، في هذه المرحلة تدرس موضوع الرواية وشخصياتها، مدى وعيهم بقضايا المجتمع، وبشكل عام التماسك الداخلي للنص الأدبي.

الف. محتوى رواية الحريق والسياقات الدلالية فيها

هناك ارتباط وثيق بين محتوى الرواية والسياقات الدلالية فيها، إذ أنّ هذه السياقات تتشكل وتتكوّن في بطن المحتوى ومن ثمّ تتولد. «المحتوى هو الفكرة الرئيسية والمهيمنة في أي نص، والذي يكون بمثابة خيط يتمّ رسمه أثناء النص ويربط مواقف القصة بعضها ببعض؛ بعبارة أخرى، المحتوى هو الفكر السائد الذي يطبّقه الكاتب على القصة؛ ولهذا يقال: أنّ محتوى كل نص يعكس الاتجاه الفكري والإدراكي لكاتبه.» (ميرصادقي، ١٣٨٠: ١٧٤) وبناءً على ذلك، فإنّ المحتوى هو المعنى الأساسي، والرسالة لا تنتقل من خلال لغات الشخصيات بل تنقلها أفعال القصة ومحتواها. (جزيني، ١٣٨٧: ٣٩) يتناول محتوى رواية الحريق الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية السائدة في المجتمع الجزائري في فترة زمنية معينة، وفي الواقع محتواها الرئيسي هو أيديولوجية كاتب الرواية.

إن غولدمان يستخدم مفهوم البنية الدلالية إضافة إلى توصيف الوحدة العضوية لمكوّنات النص والعلاقة المتبادلة بينها، لبنية النص الداخلية حيث تضمن أيديولوجية انعكست فيها أيضاً، أي كيف صارت أيديولوجية طبقة معينة أو مجموعة اجتماعية في العمل الأدبي عنصراً بنّاءً في العالم الخيالي للنص. «النقد الاجتماعي الأدبي يحاول من أجل فحص العلاقة بين النص الأدبي والمجتمع، بحيث يُعنى تأثير المجتمع وطبقاته الاجتماعية في نشأة النص الأدبي من ناحية، ومن ناحية أخرى يدرس آراء

الكاتب الفكرية والإيديولوجية والاجتماعية والسياسية (كعضو في طبقة اجتماعية معينة ولا كعضو فردي في المجتمع) ودورها في إنشاء نص أدبي ما. « (كوثرى، ١٣٧٩: ١٦) في رواية الحريق، نواجه عالماً خيالياً تم إنشاؤه من قِبَل الكاتب، ولكن هذا العالم الذي يبدو خيالياً يتكوّن على صعيد الواقع، بعبارة أخرى إنه متجذر في الحقيقة التاريخية؛ هذا هو العالم الخيالي للرواية، والذي وفقاً لنظرية غولدمان في الروايات الاجتماعية يقوم على أيديولوجية مجموعة معينة.

أثناء قراءة رواية الحريق، يواجه القارئ عالماً أُسّس بدقة على الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للجزائر قبل بضع سنوات من اندلاع الحرب العالمية. بلد يعاني إضافة على الفقر الاقتصادي وعدم المساواة في توزيع الثروة من الاحتلال الفرنسي؛ الأمر الذي يشير إليها ديب في غير قليل من صفحات الرواية: «ووراءها، من بعيد، تقريباً على الحدود التي ترى من مزارع القمح الممتدة، كان حقل المستوطن الفرنسي ماركوس، وبيته العتيق الذي بناه جده، وظاهر هذا البيت المتشابه، وافريزه وفتحاته ولون أجره القديم الوردي الحائل، وسقفه القرميدي المغطي بطبقة من الطحلب، كان كل ذلك يبدو أنه هو الوجه الحقيقي للجزائر، ولكنه ليس إلا السطح الظاهر... وللجزائر مليون وجه آخر.» (ديب، ١٩٨٥: ١٧٦) وهنا يدخل محمد ديب في الرواية باعتباره الراوي الغائب والعالم الكل، فبعد وصف ما رآه عمر من المزارع والمنازل الفرنسية يقول: «إن هذا ليس واقع الجزائر، وأن للجزائر ملايين وجه آخر من البؤس والفقر والاستعمار...، وهذا على أساس نظرية البنيوية التكوينية، هو عالم الرواية المتجذر في العالم الحقيقي.» (نفس المصدر) في مكان آخر، هكذا يتحدث محمد ديب مرة أخرى من خلال قراءة أفكار عمر، وهو طفل جزائري يبلغ من العمر أحد عشر عاماً: «وهذا هو بيت الفرنسيين، بيت المستعمرين الذين يملكون كل شيء، الأرض وبيادر الحصاد، والأشجار، والهواء، والرجال فوق ذلك كله، وكذلك الطيور، وربما كانوا يملكونني أنا أيضاً.» (المصدر نفسه: ١٧٧) الشيء المثير للاهتمام هو أنه في اللحظة

التي يغرق فيها عمر بين كل هذه الأفكار، فجأة يسقط أحد المزارعين الجزائريين من الحصاد، وينقسم إلى قطع تحت شفراتها. المالك الفرنسي بعد تهديد المزارعين الآخرين بعدم البوح بهذا الحادث، يصرخ بصوت عالٍ قائلاً إنني فقط سأتحدث إلى الشرطة للتأكد من أنّ الرجل قد فعل ذلك بالخطأ ولعدم معرفته بالحصاد. بعد بضع دقائق، وبينما كانت الدماء لا تزال تتدفق من جسد المزارع، يعود الجميع إلى العمل، ويبقى جسد الرجل المقطوع على الأرض. لا بد لنا الإشارة إلى أنه يوجد في كل مكان من الرواية، العديد من الحالات التي تشير إلى بنية الاجتماعية والسياسية الدلالية في الرواية، وهذا الأمر بدوره يؤكد على نقد الرواية بناءً على نظرية البنيوية التكوينية.

ب. شخصيات الرواية

«ليس لبطل الرواية، خلافاً لبطل الملحمة، ماضٍ يعتمد عليه، ولا مستقبل مشرق يأمل فيه، ومن ثمّ فإن مثل هذه الشخصية التي انفصلت عن "كل"ه وعن مجتمع بُني على قيم نوعيّة، وانحصرت في مجتمع ذي قيم كميّة، تكون دائماً وحيداً منفرداً وتشارك في صراع داخلي وخارجي؛ وبما أن الكاتب كثيراً ما يتقمص دور تلك الشخصية، وينظر إلى العالم من وجهة نظرها، ومن نافذة عواطفها ومشاعرها، يخلق عملاً أدبياً فذاً. تقول فرجينيا وولف^١ - كاتبه انجليزيه (١٩٤١-١٨٨٢) تُعتبر من أوائل من استخدم طيار الوعي كطريقة للسرد- عن أهمية الشخصية في الرواية: أنا أعتقد أن كل الروايات تتعامل فقط مع الشخصية، وإن نوع القصة قد خُلِق من أجل الحكمة ومن أجل رسم الشخصية.» (ألوت، ١٣٨٠: ٥٠٣) كما يعتقد جان بول سارتر^٢ أنه لا يوجد فكرٌ أو نظرية في الرواية ما لم يتمّ التعبير عنها من خلال علاقات الشخصيات بعضها مع البعض. (سارتر، ١٣٧٠: ٩١ و٩٢). المهم في هذا البحث هو مدى علاقة شخصيات الرواية بالأحداث الاجتماعية ووقائع المجتمع وتشابكهم بها؛ تعتبر رواية

1. Adeline Virginia Woolf
2. Jean-Paul Sartre

الحريق من الروايات متعددة الشخصيات؛ بعبارة أخرى أننا في الرواية لا نواجه شخصيةً واحدةً تدور جميع أحداث الرواية حولها. في هذا الصدد يجب الانتباه إلى أن «بعض الشخصيات هي شخصيات موضوعية لا تستخدم إلا لأجل التعبير عن محتوى القصة... وغالباً ما يظهر الكاتب كثيراً من رسائله ومجالات عديدة من قصته من خلال الشخصيات الفرعية في الصراع بينها وبين الشخصية الرئيسية، ويختبئ وراء هذه الشخصيات اختباءً حتى لا تتوجه الأنظار إليه.» (جزيني، ١٣٧٨: ٣٩) فهو يستخدم قناعات مختلفة في هذه الرواية كي يبدي آراءه الاجتماعية والسياسية فيها وخاصة قناع "عمر"، في رواية الحريق يمكن أن تعتبر شخصية "عمر" شخصيةً موضوعيةً؛ هو طفل يبلغ من العمر أحد عشر عاماً، حاضر في العديد من مشاهد القصة، لكن هذا الوجود لا يُعتبر كائناً مؤثراً، بل يكون شخصيةً محايدةً على حد ما، وهي ليست مسألةً غريبةً بالنظر إلى عمره. تكمن أهمية شخصية عمر في حقيقة أن الكاتب يستخدمها للتعبير عن آرائه الأيديولوجية، فهو يعبر عن مختلف الأشياء من لسانه؛ يتكلم أحياناً عن أشياء بلسان عمر، وأحياناً يعبر عن أفكاره من خلال قراءة أفكار عمر، وفي بعض الحالات بعد توصيف الحدث الذي شهده عمر أو قد حدث له، يشرح وجهة نظره كشخص ثالث وعالم كلي، وبالطبع بمساعدة شخصية عمر. من أهم شخصيات الرواية يمكن الإشارة إلى: كومندار، بن أيوب، معمر الهادي، بادعدوش، حميد سراج، وقره علي. الشيء المثير للاهتمام هو عدم وجود شخصية أنثوية مؤثرة في الرواية، الأمر الذي من الضروري أن يدرس في مكانه.

يلعب بادعدوش وحميد سراج دور ممثلي الثوريين كما يلعب قره علي دور ممثل الحكومة، وعلى الأقل يدعم الحكومة، ويعارض أي انتفاضة وثورة ضدها. يُعد وجود هذه الشخصيات الموضوعية في رواية الحريق، التي تظهر بوضوح فيها، من السمات الرئيسية للروايات الاجتماعية. فاستفاد ديب في سبيل تقديم الشخصيات من المونولوج، والوصف، والصراع وما إلى ذلك من الطرق الفنية في كتابة الرواية وكل هذا

أتى به في طريقة فنية عززت ووطدت الجوانب الأدبية في الرواية أيضاً.

ج. البطل الإشكالي، الوعي الفردي والاجتماعي

في الروايات الواقعية نواجه شخصيات تلتزم بالمبادئ والقيم الأخلاقية الحقيقية؛ يعتبر لوسيان غولدمان أي عمل يوافق مع الواقعية عملاً قيماً، في هذا الصدد هو يسمي شخصية بطل الروايات الاجتماعية بالشخصية الإشكالية: «نحن لا نستخدم مصطلح الشخصية الإشكالية بمعنى الفرد الذي يخلق المشكلات بل بمعنى الشخصية التي تواجهها حياتها وقيمها ومشكلات لا تحل ولا يستطيع إدراكها بوضوح، وهذه هي السمة التي تفصل بطل الرواية عن بطل المأساة.» (غولدمان، ١٣٧١: ٢٦٠) من السمات البارزة للروايات الاجتماعية يمكن الإشارة إلى عدم رضاية البطل عن مستوى وعيه الحالي فيخطو واعياً أو غير واع تجاه الوعي الممكن، ويظهر هذا بوضوح في رواية الحريق إذ تكون الشخصيات في الرواية كلها ديناميكية إلى حد ما، وتشارك في القضايا الاجتماعية والسياسية لمجتمعها. لدى هؤلاء الشخصيات وجهات نظرهم الخاصة حول قضايا المجتمع، يتحاورون ويتجادلون معاً وهذه المحادثات تؤدي أحياناً إلى صراعات لفظية وجسدية، ومن بينها يمكن الإشارة إلى الصراع بين سليمان وقره علي، وضرب قره من قبل سليمان.

أجاد محمد ديب وصف شخصيات قصته كممثل لأيدولوجية قصدها لهم (أي الوعي الحالي)؛ بالإضافة إلى ذلك فقد منح هذه الشخصيات حرية التصرف في إطار نفس أيدولوجية المجموعة، ويتبلور هذا أيضاً في التعبير عن الأفكار والآراء، والدفاع عن هذه الآراء، والجهود المبذولة لتحقيق معتقدات الشخصيات العامة والفئوية. أفضل شخصية يمكن الإشارة إليها في الرواية موضوعياً شخصية "بادعدوش"، فهو يدخل دائماً في المباحث السياسية والاجتماعية محاولاً إقناع الآخرين على الثورة ضد المستعمرين الفرنسيين، «أه... ليت واحداً فقط يعرف كيف يقص على الناس قصة الحياة الحزينة الشقية التي يعيشها الفلاحون... وليته بعد أن ينتهي من الكلام عن

الفلاحين المساكين، يتحدث عن حياة الأبهة التي يعيشها المستوطنون الفرنسيون...» (ديب، ١٩٥٨: ٣٤) وفي مكان آخر من الرواية يتكلم الرواي عن بادعدوش مباشرة ويقول عنه: «كان بادعدوش... يكابد تلك النار التي تسكن الصدر. كانت الرغبة في القيام بعمل ما تتوي في أعماق خواتمه وتوجه جميع أعماله على غير شعور منه... أن في كل صدر كلمة احتجاج، كلمة واحدة حية قوية.» (نفس المصدر، ٦٠) على الرغم من أن شخصيات الرواية لن تخضع في النهاية لتحول يؤدي إلى تغيير في طبقتهم الاجتماعية، إلا أنه تكون هناك تغييرات في مستوى وعيهم الحالي والممكن، الأمر الذي يؤدي في بعض الأحيان إلى توجهات غير محتملة لهم، وقد يحدث هذا على مستوى نقل المعلومات من مرحلة الوعي الحالي إلى الوعي المحتمل.

قد يلاحظ نقل المعلومات بشكل خاص في شخصيات مثل بادعدوش وبن أيوب وقره علي، وعلى سبيل المثال يتخلى قره علي عن الدفاع الظاهري عن الحكومة بعد الصراع مع سليمان بينما هو كان شخصية موالية للحكومة وممثلاً لأيدولوجية الدفاع عنها، لكنه يواصل علاقته بممثلي الحكومة سرّياً. توجهات حميد سراج وبن أيوب اللذين كانا معارضين للحكومة ودعوا إلى الثورة وطرد المستعمرين الفرنسيين من الجزائر تقع أيضاً في إطار نقل المعلومات من الوعي الحالي إلى الوعي الممكن.

أخيراً، يجب القول بأنه على الرغم من أن شخصيات الرواية في إطار الأيدولوجية التي تحكم مجموعتهم الاجتماعية، تتخذ بعض الإجراءات، وتغير مستوى وعيها الحالي إلى الوعي المحتمل، لكننا في الرواية لا نواجه شخصية خضعت لتحول كامل في إطار وعيها وفتتها الأيدولوجية، أو تخلت عن أيدولوجيتها السابقة لصالح أيدولوجية جديدة.

د. تحول شخصيات الرواية

تحول الشخصيات وتغيير مبادئهم الفكرية أو أيدولوجياتهم يُعدّ من القضايا الهامة في الدراسة الاجتماعية للرواية، والذي قد تم تناوله بشكل غير مباشر إلى حد ما في

المبحث السابق، ولكن نظراً لأهميته في نقد غولدمان سيعرض في هذا القسم للتحليل والتوضيح على وجه التحديد. الروايات الاجتماعية تكون مكتوبة وفقاً للأحداث التي حدثت أو يمكن أن تحدث في المجتمع، فإننا نرى فيها تحولاً منطقياً في الشخصيات والأبطال، وليس هذا طبيعياً في الروايات الاجتماعية فحسب بل يتوقعه القارئ أيضاً.

على الرغم من أن محمد ديب لم يحدد زمان وقوع أحداث الرواية بالتحديد، إلا أن مسار الأحداث يظهر أنها قد حدثت في فترة قصيرة قبل بداية الحرب العالمية الثانية وفي غضون أشهر قليل من مغادرة عمر إلى قرية بني بويلان في العطلة؛ لكننا نواجه في شخصيات الرواية محاولات للانتقال من الوعي الحالي إلى الوعي الممكن، وكلمات الكاتب من وراء شخصية "عمر" تؤكد ذلك؛ فعمر الشاب الذي ليس لديه أي هوية في بداية الرواية غير اللعب والتجوال في المزارع بعد مدة يشارك الكلام مع الرجال ويدخل في صلب المباحث السياسية والاجتماعية ويبدى رأيه فيها «كان على الصبي أن يفهم هذه الأمور كلها، لذلك كان يفكر ويطلق التفكير، وهو مستلق على العشب يصغي إلى كلام كومندار الذي كان يتحدث عن حياة الفلاحين المقضي عليها بالهلاك.» (ديب، ١٩٨٥: ٨٠) فهو يفكر وعليه أن يفكر في مثل هذه الأمور مع أنه صبي؛ فإذا قبلنا عمر كممثل للجيل الحالي الجزائري فهذا التفكير يعني الانتقال من الوعي الحالي إلى الوعي الجماعي الممكن. في مجال طريقة تفكير الشخصيات وأيديولوجيتها، يجب القول بأن الشخصيات الرئيسية طوال الرواية تبقى على نفس معتقداتهم الفكرية، ولا نرى تغييراً جوهرياً في طريقة تفكيرهم وأيديولوجيتهم، وهو أمر طبيعي بالطبع بسبب الفاصل الزمني القصير الذي تقع فيه أحداث الرواية. بالنظر إلى ما حدث للشخصيات في الرواية، لا بد من القول بأن محمد ديب كان قادراً على اكتشاف مستقبل محتمل لشخصياته حتى لا يجد القارئ تضارباً بين ما حدث في الرواية، وبين ما يمكن أن يحدث في العالم الحقيقي ممّا يضيف إلى القيمة الفنية

لعمله. في غضون ذلك، لا ينبغي إهمال جمال توصيفات محمد ديب الأدبية سواء في مجال الشخصيات وخصائصها الجسدية أو في وصف جمال الطبيعة والمكان الذي يعيش فيه أبناء بني بويلان، مما يثري الرواية جمالاً وتألُقاً، ويمنع الجمهور من أن يتعب من قراءة رواية اجتماعية جافة، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى صفحات ١٢٠، ١٢١ و١٤٩ من الرواية التي تكتنف أوصافاً جميلةً من الطبيعة، فيمكن للقارئ أن يراجعها إذا أراد ذلك.

المرحلة الثانية: الشرح

إن علم الاجتماع الأدبي أحد ميادين علم الاجتماع، ويقوم على أساس دراسة العمل الأدبي ومبدعه وطبقته الاجتماعية وقزائه واتجاهاتهم، كما يهتم برصد طبيعة العلاقة بين مضمون العمل الأدبي ومجموع الوقائع الاجتماعية أو الثقافية في مرحلة تاريخية محددة. (تومي، ٢٠١٤: ٢٣٨) على حسب وجهة نظرية غولدمان، يتم دراسة الهيكل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمجتمع، وشرحه ضمن بنية العمل الأدبي في مرحلة الشرح. في هذا الصدد، من الضروري معالجة قضايا مثل كافة المجالات والصعد التاريخية والسياسية والاجتماعية التي تشكلت فيه الرواية، الوعي السياسي والاجتماعي لأبطال الرواية ومسار تطور وعيهم واعتراضهم على الوضع الراهن، ومدى تلاءمهم مع واقعيات المجتمع، وعدة قضايا أخرى من هذا النوع.

الف. الصعيدين السياسي والاجتماعي للرواية

الأديب ليس راوياً ومصوراً للوضع الاجتماعي فحسب، بل هو يكون راوياً وناقداً في آن واحد، وبالإضافة إلى إظهاره للوضع الاجتماعي والثقافي السائد في المجتمع، يعرب عن آرائه ومواقفه الفكرية والفلسفية تجاهه أيضاً. (أدهمي، ١٣٩٠: ٤٣) قد كتب محمد ديب أحداث الرواية في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية حتى بداية الحرب بحيث تتزامن نهاية أحداث رواية الحريق مع بداية الحرب بالضبط، وهذا له تأثيرات عديدة على أحداث الرواية أيضاً. حسب الوثائق التاريخية، عانت الجزائر من مشاكل

كثيرة في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية، من أهمها: احتلال المستعمرين الفرنسيين للبلاد، نهب ثروات البلاد من قبلهم، سيطرة الاستعمار الفرنسي على الأراضي الزراعية الجزائرية والفقر المدقع للجزائريين. «بدأت فرنسا غزو الجزائر على ذريعة الإهانة للقنصل الفرنسي، حتى أصبحت الجزائر جزءاً من فرنسا رسمياً مدة طويلة، فهم يحكمون الجزائر بقساوة كاملة... وأعلنوا الجزائر محافظة تابعة لفرنسا... خلال فترة الاحتلال، جاء عشرات الآلاف من الأشخاص من فرنسا وإسبانيا وإيطاليا ومالطا إلى الجزائر للعمل في المزارع.» (روحاني، ١٣٩٠: ٣٢/١)

بالنظر إلى الوضع الاجتماعي والسياسي في الجزائر والأحداث التاريخية التي حدثت أثناء استعمار البلاد، نواجه في الرواية ظروفاً تجعل التاريخ الحقيقي للجزائر في تلك الفترة ينبض بالحياة أمام القارئ. في أحد أجزاء الرواية يأتي محمد الديب مباشرة بعبارة «ولكننا الآن في عام ١٩٣٩، في صيف عام ١٩٣٩.» (الديب، ١٩٨٥: ١١٨) وهو يشير إلى وقت أحداث الرواية، وهي قبل بضعة أشهر من بدء الحرب العالمية الثانية. ثم يمضي الكاتب في الحديث عن بعض معلومات عمر العلمية، وهو طفل يبلغ من العمر ١١ سنة، ومن المثير للاهتمام أن المزارعين الجزائريين يسمعون يتحدث عن بعض القضايا العلمية مثل كيفية تشكل المطر، استقرار الشمس ودوران الأرض ونحو ذلك، ويتهمونهم بالكفر والزندقة. (نفس المصدر: ١١٨) يشير محمد ديب في الواقع من خلال هذا النص إلى الفقر الثقافي والضعف العلمي للشعب الجزائري في تلك السنوات، ويؤكد بطريقة ما على تدمير الثقافة الإسلامية الجزائرية من قبل الفرنسيين.

بداية فكرة الاستقلال والحرية، والنضال ضد الاستعمار الفرنسي تعدُّ من الملامح الاجتماعية والسياسية الأخرى للجزائر في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية. مع أن هذه الفكرة كانت موجودة منذ بداية احتلال الجزائر وفقاً للوثائق التاريخية إلا أن تكثيفها وتحولها إلى فكر ثوري قد تشكل في السنوات التي سبقت اندلاع الحرب

العالمية الثانية. كما سبقنا القول عن النظرية البنيوية التكوينية، إن الكاتب في الواقع يعدُّ ممثلاً لأيدولوجية فكرية، وفي عمله الأدبي يحاول إثبات تلك الأيدولوجية، والتأكيد عليها. محمد ديب في رواية الحريق في الواقع يكون ممثلاً للشعب الجزائري وأيدولوجية الاستقلال، وقد اختار عمر بمثابة شخصية تنقل صوت الكاتب إلى الجمهور. إنَّ عمر كطفل في الحادي عشر من عمره يعتبرُ فاعلاً جمعياً وممثلاً للجيل الجديد من الجزائريين؛ الجيل الذي يبدو أكثر وعياً من الجيل السابق، وقد تكوّنت في ذهنه شرارات من الحرية: « ودمدم يردد لنفسه وحدها تلك الفكرة التي تلحّ عليه... من ذا يحزرك يا الجزائر؟ إن شعبك يمشي في الطرقات يبحث عنك.. » (المصدر نفسه: ١٣٥) ويواصل الحديث عن الأوضاع الاجتماعية للجزائر واستعمار البلاد من قبل الفرنسيين والاضطهاد الذي يلحقونه بالشعب: «... تمتد أمامك ههنا على مدى البصر، ومن مسافة إلى مسافة، يظهر كوخ بائس من أكواخ الفلاحين، هذه الأكواخ كلها متشابهة، يلوح لك فيها شيء من الحزن يلاحقك بغير انقطاع... ولكن الاستعمار يجرح، عيونه خائفة لا سبيل إلى خلاصها من هذه القسوة، ذلك أن المستعمر المستوطن يرى أن عمل الفلاح من حقه تماماً، بل إنه يريد أن يكون الناس أنفسهم له... » (المصدر نفسه: ١٣٦) في الواقع، حاول محمد ديب أن يصف - من وجهة نظر أبطال الرواية - الصعيدين السياسي والاجتماعي للرواية، والذي يوافق تماماً مع الظروف الاجتماعية والسياسية للجزائر في نفس الفترة، وهذا يعدُّ من خصائص الروايات الاجتماعية أيضاً، إذ أن الكاتب، خلافاً للروايات غير الواقعية، يحاول إعادة بناء الصعيد الحقيقي للمجتمع في نصه والتعبير عن أيدولوجية مجموعته باستخدام الفاعل الجمعي ويمكن الوقوف على أكثر نماذج منها في الصفحات ١٣٨، ١٤٢، ١٥٨، ١٩٩ للرواية، ففي مشهدٍ من الرواية، يلتقط بن أيوب "أحد الشخصيات الثورية في القرية" حفنةً من التراب، وهو يعرضها للآخرين قائلاً: «سيأتي وقت يحاسبنا فيه أولادنا حساباً عسيراً، سوف يلعنونا، إنني لأنظر إلى المستقبل فأرى أحفادي غاضبين حائقين

يصوّون على أجدادهم اللعنات... إذا تركتم أرضكم، فإن أولادكم، وأحفادكم، وأولاد أحفادكم، إلى آخر جيل من أجيال ذرياتكم، سوف يحاسبونكم حساباً عسيراً. إذا تركتم أرضكم فلن تكونوا جديرين بهم، ولن تكونوا جديرين بهذه البلاد، ولن تكونوا جديرين بالمستقبل.» (المصدر نفسه: ١٥١)

السمة الاجتماعية الأخيرة في الرواية تتبلور في تورط فرنسا في الحرب العالمية الثانية، وإجبار الرجال الجزائريين على القتال في فرنسا، والدفاع عن فرنسا ضد غزوات ألمانيا النازية؛ هنا أيضاً يعبر محمد ديب عن نظريته الأيديولوجية على صعيد الرواية: «الحرب؟ ما شأننا نحن بها؟ إنها تنشب في بلاد بعيدة، في فرنسا. ومن يدري إلى أين تمتد.. إننا نعني بأمرنا، نزرع خضرنا، فما صلتنا بعد ذلك؟» (المصدر نفسه: ٢٠٠). كما يتضح من هذه الأمثلة، حاول محمد ديب في روايته إعادة بناء الصعيد الاجتماعي والسياسي للجزائر عام ١٩٣٩م بنفس الطريقة في روايته، وفي هذا الصدد يوظف أبطالاً إشكاليةً مثل عمر، حميد سراج، بادعدوش وقره علي... وإلى جانب ذلك، وعلى حسب أيديولوجيته الجماعية، يحاول أن يطلع الشعب الجزائري على الظروف الاستعمارية وأن يطوّر وعيهم الحالي نحو الوعي المحتمل، وكما مر بنا سابقاً، هذا الأمر يعد من خصائص الروايات الاجتماعية التي حظيت باهتمام خاص في نظرية البنيوية التكوينية.

ب. انعكاس السياقات الدلالية للرواية في المجتمع

العلاقة المتبادلة بين المجتمع وبين السياقات الدلالية للرواية تعد ميزة أخرى من ميزات الروايات الاجتماعية التي يُعنى بها في نظرية غولدمان البنيوية. إن ما يقصده الباحث في المرحلة السابقة هو دراسة السياق التاريخي والسياسي والاجتماعي للرواية، ولكن في هذه المرحلة يدرس الباحث الربط الثنائي بين المجتمع وأحداث الرواية، فالمرحلة السابقة يوفر للباحث الأرضية المناسبة ولوجاً في هذا الإطار. وفقاً لنظرية غولدمان، إنَّ مبدع العمل الأدبي يعدُّ ممثلاً لأيديولوجية خاصة؛ فهو يسير في طريق

الواقعية الاجتماعية، ويبعد نفسه عن الواقعية الرومانسية كل البعد، لأنه يعبر عن المجتمع في عمله الأدبي في نفس الأجواء التي يعيش فيها المجتمع في عالمه الخارجي الحقيقي؛ فلا يرسم المجتمع كما يشاء وكما يأمل وفقاً للرومانسية الاجتماعية.

فمحمد ديب في رواية الحريق بذل قصارى جهده لتأسيس البيئة الاجتماعية والسياسية للجزائر على صعيدها التاريخي في الثلاثينيات (١٩٣٠م) كما ورد في كتب التاريخ، ويبدو أنه كان ناجحاً في هذا المجال أيضاً وتمّ التعبير عنه بشكل أدبي جميل في صعيد الرواية. توجد أمثلة واضحة على ذلك في الصفحات ١٧٠/١٧١/١٨٢/١٨٩/٢٠٢/٢٣٨/٢٥٥/٢٥٦ و٢٥٧ من الرواية، ولتجنب إطالة الخطاب نورد مثلاً على هذه التوجهات في الرواية: «قد تظن أنك حرٌّ بشخصك، ولكن شعبك ليس حراً، وأنت إذن غير حرٌّ أيضاً، ذلك إنه لا وجود لك إلا في شعبك، هل في وسع ذراعي هذه أن تعيش بغير جسمي؟ أبداً، ومع ذلك قد نتوهم حين نرى حركتها أنها مستقلة، أو قد نتوهم أن هذه الأصابع التي تقبض على ما تريد القبض عليه، قد نتوهم إنها مستقلة، كذلك شأنك بين إخوانك... لماذا لا يتكلمون عن المستوطنين الفرنسيين؟ كل ما تقولونه سليم حكيم، ولكن ما فائدة هذا كله؟ إنكم لم تقولوا حرفاً واحداً عن هؤلاء الذين نشقى بسببهم، إنهم هم مصدر بلائنا كله، فإذا تحدّثتم عن الشقاء الذي نعانيه دون أن تقولوا شيئاً عن المسؤولين عنه فأنتم تتعبون ألسنتكم سدى، نحن أناس حزاني، هذا كلام صحيح، وأنا أقوله لنفسي، وأقلبه في رأسي، وذلك لأننا نفكر في شقائنا ولا نفكر في مصدره.» (ديب، ١٩٨٥: ١٩٠ و١٩١)

فالطريقة التي يتحدث بها محمد ديب عن البيئة الجزائرية، كيفية معاملة المستوطنين الفرنسيين في هذا البلد مع الجزائريين، بيان اشمئزاز الشعب الجزائري منهم ومحاولتهم للإضراب، الثورة وتحقيق الحرية، الفقر المدقع للجزائريين، الفقر الثقافي والبعد عن العلم، وجود المفاهيم الخاطئة وما شابها، هذه كلها إضافة إلى ما

قيل في مرحلة الاستلام عن أبطال الرواية، ومدى وعيهم ومحاولتهم تطوير وعيهم الحالي إلى الوعي الممكن، كل هذا يؤكد ما وصل إليه البحث في هذا الصدد. وأيضاً يؤكد على ذلك وجود شخصيات ثورية مثل بادعدوش، حميد سراج، كومندار، بن أيوب وسليمان من جهة، وشخصية قره علي من جهة أخرى. يجب أن نضيف إلى هؤلاء، شخصية عمر التي تمثل من جهة، الجيل الجديد من الجزائريين الذين هم أكثر وعياً بأوضاعهم السياسية والاجتماعية بالنسبة إلى الجيل السابق، وهي بطريقة ما في مرحلة الاستعداد لبدء الثورة، ومن جهة أخرى فهي تعد بمثابة قناع يلبسه محمد ديب، وينقل من خلاله آرائه الأيديولوجية في الرواية للشعب الجزائري.

ج. الاحتجاج على الوضع الراهن

صرخة الاحتجاج على حالة المجتمع وما يجري فيها من الآفات الاجتماعية والسياسية وسوء الأحوال الاقتصادية تُعد من ميزات الروايات الاجتماعية. كاتب الرواية الاجتماعية، بما أنه يمثل وجهة نظر أيديولوجية معينة وطبقة اجتماعية ذات معتقدات خاصة، يسمح لنفسه بمواجهة الظروف التي تتعارض مع رغبات طبقاته الاجتماعية، ويقوم بالاحتجاج عليها من خلال أبطال الرواية.

يتضح هذا الأمر في رواية الحريق بوضوح، هناك بعض الأمثلة في الصفحات السابقة من هذه المقالة التي تحتوي بالصرامة على الصوت الخفي أو العلني للاحتجاج الذي عبّر عنه الأبطال ضد الوضع السائد في الجزائر؛ في جزء من الرواية يشير محمد ديب إلى اضطهاد الفرنسيين، ويتحدث بلسان "كومندار" قائلاً: «أينما توجهوا صفعهم "القانون"، وهم دائماً مذنبون في نظر القانون، لوائح القانون تحاصرهم من كل جهة، وتعترضهم في كل مناسبة... القانون يحرم عليهم امتلاك أراضيهم... ثم قالوا للفلاحين: من كانت له شكوى، فليراجع المحاكم... ولكن كيف نلجأ إلى القانون، والقانون هو الذي يجردنا من أملاكنا؟» (ديب، ١٩٨٥: ١٦٨) شخصيات الرواية كلها بطريقة ما تعترض على الوضع الراهن. بعضهم مثل كومندار، يصرّح بهذا

الاحتجاج، والبعض مثل حميد سراج ينظّم ثورات وإضرابات، والذي يجدر بالاهتمام هو أن صرخة الاحتجاج هذه يمكن سماعها حتى من معارضي الثورة والمدافعين عن الحكومة مثل قرّة علي؛ هذا الاحتجاج في تاريخ الجزائر هو في الواقع، نقطة انطلاق لسلسلة من الاحتجاجات التي أدت في النهاية إلى استقلال الجزائر وتحريرها من الحكم الاستعماري الفرنسي وهذا هو الأمر الذي نقرأه في نظرية البنيوية التكوينية تحت عنوان تأثير البنى التحتية للمجتمع في البنى الفوقية من جهة وتأثير هذه الثانية في الأولى بعد تشكيلها من جهة أخرى.

النتائج

اختص هذا المقال بدراسة رواية الحريق لمحمد ديب على ضوء النظرية البنيوية التكوينية للوسيان غولدمان. في هذا الصدد يمكن القول وبعد قراءه الرواية بأن الكاتب استطاع أن يضع أسس علاقة عميقة متشابكة ذات اتجاهين بين العالم الاجتماعي للرواية وبين أبطالها الذين هم في الواقع ممثلو الشعب الجزائري، وأصبحت هذه الأمر لبنة بناء العالم الخيالي للرواية. فبعد دراسة الرواية في مرحلتي الاستلام والشرح على ضوء هذه النظرية يمكن تلخيص النتائج فيما يلي:

١. تطرق محمد ديب في رواية الحريق إلى الجوانب السياسية والاجتماعية للمجتمع الجزائري في فترة زمن احتلال الجزائر على يد الفرنسيين وهذا الأمر مهّد الأرضية لدراسة الرواية على أساس نظرية البنيوية التكوينية لغولدمان.
٢. حاول محمد ديب في رواية الحريق أن يخلق عالماً خيالياً تجري أحداث الرواية فيه ولكن هذا العالم تمّ بناءه وفقاً للظروف السياسية والاجتماعية الاقتصادية الجزائرية في الفترة التي تحدث الرواية فيها وهذا الأمر يسمح للمؤلف بفرض وجهة نظره الأيديولوجية على الرواية.
٣. يستخدم محمد ديب قناع شخصيات الرواية وخاصة قناع شخصية عمر كي

بيدي عن طريقه آراءه وأيديولوجيته الخاصة به، فمعظم شخصيات الرواية تعدّ شخصيات رمزية وممثلة لعقيدة أو فئة خاصة وتحاول في سبيل الوصول من الوعي الحالي إلى الوعي الممكن ونرى هذا الأمر جلياً في شخصيات مثل بادعدوش وابن أيوب وقرّة علي وكومندار ولسيمان وغيرهم ومن الغريب عدم وجود شخصية مؤثرة من النساء في الرواية.

٤. مع أننا نرى بعض محاولات جادة من قبل الشخصيات للتحوّل أو ما نسميه السير من الوعي الحالي إلى الوعي الممكن، ولكن وبسبب الفاصل الزمني القصير الذي يقع فيه أحداث الرواية، لا نواجه تحولاً جذرياً في وعي الشخصيات، ولكن ما يحدث في الرواية وبالتحديد في شخصيات الرواية وخاصة عمر الذي يعد ممثلاً من الجيل الجديد الجزائري، يبشّر بتغيير مبارك في الوعي الجزائري حيال المستعمر والحرية والوطن.

٥. في رواية الحريق، نواجه عالماً خيالياً تم إنشاؤه من قِبَل الكاتب، ولكنه تكوّن وفق الأحداث الاجتماعية والسياسية التي حدثت على صعيد الواقع في المجتمع الجزائري وفي نفس الزمن الذي يحدث فيه أحداث الرواية، بعبارة أخرى إنه متجذر في الحقيقة التاريخية؛ أثناء قراءة رواية الحريق، يواجه القارئ عالماً أسس بدقة على الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للجزائر قبل بضع سنوات من اندلاع الحرب العالمية الثانية؛ وهذه السمات الظاهرة في الرواية تعدّ من أهم المكونات الاجتماعية والثقافية فيها وفقاً لنظرية البنوية التكوينية.

٦. نشاهد في الرواية أبطالاً يمكن عد كل واحد منها ممثلاً لفئة خاصة أو لرؤية فكرية أو أيديولوجية محددة. في هذا الإطار يلعب بادعدوش وحميد سراج دور ممثلي الثوريين كما يلعب قره علي دور ممثل الحكومة، وعلى الأقل يدعم الحكومة، ويعارض أي انتفاضة وثورة ضدها، كما يعدّ عمر ممثلاً للجيل الجديد الجزائري والكومندار الجيل القديم الثائر الذي يلعب دور المرشد العالم للجيل الجديد؛ وهذه الظاهرة في

الرواية ينطبق على البطل الإشكالي وكيفية حضوره في العمل الأدبي وفقاً لنظرية البنيوية التكوينية.

٧. نرى في رواية الحريق انعكاساً واسعاً للبنى الدلالية الموجودة في المجتمع، ونواجه فيها صرخة احتجاج تنبعث من أعماق وجود أبطال الرواية، وتتجلى في إضراب المزارعين على مستوى البلاد، هذا الاحتجاج في تاريخ الجزائر هو في الواقع، نقطة انطلاق لسلسلة من الاحتجاجات التي أدت في النهاية إلى استقلال الجزائر وتحريرها من الحكم الاستعماري الفرنسي.

٨. من العوامل التي تسلط الضوء على الجوانب الاجتماعية لرواية الحريق، وتضع هذه الرواية في بوتقة النقد ضمن إطار نظرية البنيوية التكوينية يمكن الإشارة إلى: وجود بنى دلالية اجتماعية وسياسية، وجود أبطال إشكالية وجماعية في الرواية، جهود أبطال الرواية لتحويل وعيهم الحالي إلى الوعي الممكن، صرخة الاحتجاج السائدة في الرواية، وأخيراً جهود الشخصيات لتغيير الأوضاع وتحقيق الاستقلال والحرية. وفي النهاية لا بد من القول بأنه رغم محتوى الرواية الاجتماعي الذي يكون منطبقاً على الواقعية الجزائرية في الثلاثينيات، استطاع محمد ديب أن يخلق عملاً ممتعاً لا يجعل الجمهور يتعب ولا يمل من قرائته إذ إنه إضافة على ما سبق القول فيه، استخدم المحسنات الأدبية، ولا سيما التوصيفات الخلابية والمثيرة للاهتمام طوال الرواية مما يجعلها عملاً أدبياً يجعل القارئ أن لا يكف عن قرائته قبل إتمامه.

الملحقات

محمد ديب: ولد محمد ديب (١٩٢٠ - ٢٠٠٣)، الكاتب والروائي الجزائري المعاصر، في مدينة تلمسان غرب الجزائر، تلقى تعليمه الابتدائي بالمدرسة الفرنسية، عمل مترجماً خلال الحرب العالمية الثانية ضمن جيوش الحلفاء، تنوعت أعماله ما بين الرواية والشعر والتأملات ومن أهم رواياته يمكن الإشارة إلى الحريق، النول، ثلاثية

الجزائر، ثلاثية الشمال والدار الكبيرة. حصل على عدة جوائز أهمها جائزة الفرانكفونية عام ١٩٩٤م.

المصادر

- أبوشقراء، محيي الدين (لاتا) **مدخل إلى سوسولوجيا الأدب العربي**، الطبعة الأولى، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- آلت، ميريام (١٣٨٠ش) **رمان به روايت رمان نويسان**. ترجمه: على محمد حق شناس. چاپ دوم، تهران: مركز.
- ادهمی، جمال (١٣٩٠ش) **نقد جامعه شناختی رمان سفر محمود دولت آبادی**، فصلنامه علمی پژوهشی زبان وادبیات فارسی دانشگاه اسلامی سندج، سال دوم، تابستان ١٣٩٠، شماره ٧. صص ٥٤-٣٥.
- اسكارييت، روبر (١٩٩٩م) **سوسولوجيا الأدب**. تعريب: أمال أنطوان عرموني، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان: عويدات للنشر والطباعة.
- امامی، نصرالله (١٣٧٧ش) **مبانی وروش های نقد ادبی**، تهران: نشر ديبا.
- باسكادی، يون (١٣٧٦ش) **ساخت گرایي تكوينی و لوسين گلدمن**، مترجم: محمد پوينده، تهران: چشمه.
- تومي، سعيدة (٢٠١٤م) **سوسولوجيا الأدب: النشأة والتطور**، معارف (مجلة علمية محكمة)، قسم: الآداب واللغات، السنة الثامنة، العدد ١٦٤، صص ٢٢٩-٢٤٣.
- جزینی، محمد (١٣٨٧ش) **پنج مقولهی تئوری در ادبیات داستانی**، چاپ اول، تهران: نشر نحل.
- دستغیب، عبدالعلی (١٣٧٨ش) **در آینه نقد**، تهران، حوزه هنری.
- ديب، محمد (١٩٨٥م) **الدار الكبيرة، الحريق، النول**، ترجمة: الدكتور سامي الدروبي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الوحدة للطباعة والنشر.
- روحانی، حسن (١٣٩٠) **آشنایی با کشورهای اسلامی**، جلد ١، چاپ ٤، تهران: نشر مشعر.
- سارتر، ژان پل (١٣٧٠ش) **ادبیات چیست؟** ترجمه: ابوالحسن نجفی ومصطفی رحیمی. چاپ هفتم، تهران: کتاب زمان.
- ستوده، هدایت الله (١٣٧٨ش) **جامعه شناسی در ادبیات**، چاپ اول، تهران: انتشارات آوای نور.

- طلوعی وحید ورضایی محمد (۱۳۸۶ش) **ضرورت کاربست ساختارگرایی تکوینی در جامعه‌شناسی ادبیات** (ساختارگرایی تکوینی در مقام روش)، مجله‌ی جامعه‌شناسی ایران، شماره‌ی ۳، دوره‌ی هشتم، صص ۲۷-۳.
- عسکری، عسکر (۱۳۸۷ش) **سیر نظریه‌های نقد جامعه‌شناختی ادبیات**، فصلنامه ادب پژوهشی، دوره یک، شماره ۴، صص ۶۴-۴۳.
- علایی، مشیت (۱۳۸۰ش) **نقد ادبی و جامعه‌شناسی**، کتاب ماه وادبیات و فلسفه، شماره ۴۶ و ۴۷، سال چهارم، مرداد و شهریور، صص ۳۳-۲۰.
- فاضلی، نعمت‌الله (۱۳۷۴ش) **درآمدی بر جامعه‌شناسی هنر و ادبیات**، فصلنامه علوم اجتماعی، دانشگاه علامه طباطبایی، دوره ۴، شماره ۷ و ۸، صص ۱۳۳-۱۰۷.
- فراروتی، فرانکو (۱۳۷۷ش) **لوکاچ، گلدمن و جامعه‌شناسی رمان. درآمدی بر جامعه‌شناسی ادبیات**: مجموعه مقاله، گزیده و-ترجمه‌ی محمد جعفر پوینده، تهران: انتشارات نقش جهان.
- کوثری، مسعود (۱۳۷۹ش) **تأملاتی در جامعه‌شناسی ادبیات**، تهران: انتشارات باز.
- غولدمان، لوسین (۱۳۷۱ش) **جامعه‌شناسی ادبیات** (دفاع از جامعه‌شناسی رمان)، ترجمه: محمد جعفر پوینده، چاپ اول، تهران: نشر هوش و ابتکار.
- _____ (۱۳۷۶ش) **پیوند آفرینش ادبی با زندگی اجتماعی**، ترجمه: محمد جعفر پوینده، تهران: نشر چشمه.
- _____ (۱۳۸۱ش) **جامعه‌شناسی ادبیات** (دفاع از جامعه‌شناسی رمان)، مترجم: محمد جعفر پوینده، نشر چشمه.
- الماضي، شکری عزیز (۱۹۸۶م) **في نظرية الأدب**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الحدائث.
- منتظری، آزاده و خاقانی، محمد وزرکوب، منصوره (۱۳۹۱ش) **النقد الاجتماعي للأدب، نشأته وتطوره**، فصلية إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، السنة الثانية، العدد السادس، صيف ۱۳۹۱ش / حزيران ۲۰۱۲م. صص ۱۵۱-۱۷۲
- میر صادقی، جمال و میمنت، (۱۳۷۷ش) **واژه نامه هنر داستان نویسی**، انتشارات مهنراز.
- ولك، رنه و آستین وارن (۱۳۷۳ش) **نظریه ادبیات**، تهران: انتشارات علمی و فرهنگی، چاپ اول.
- هویدی، صالح (۱۴۲۶ق) **النقد الأدبي الحديث، فضایاه و مناهجه**، الطبعة الأولى، ليبيا: منشورات جامعة السابع من أبريل.

Abstract**A Study of the Novel “Al-Hariq” by Muhammad Dib in the Light of Lucien Goldman’s Theory of Structuralism**

Azadeh Montazeri*
Mahmoud Reza Tavakoli Mohammadi**
Ali Baqer Taherenia***

Literary sociology, or the sociology of literature, is one of the new trends that have emerged in the field of literature and seeks to study the relationship between literature and society. According to this theory, based on the descriptive-analytical method, this article has targeted a sociological study of the novel "Al-Hariq" by Mohamed Dib, a contemporary Algerian writer. In this regard, elements of the semantic contexts of the novel are studied, such as knowledge of current and potential awareness of characters, problematic heroes, and individual awareness. The point worth noting was that the characters of the novel did not transform throughout the novel and that their current consciousness did not transform into a possible consciousness. In the end, it must be said that Mohamed Dib excelled in presenting the social picture of Algeria and drawing the semantic contexts of the novel, which appeared in the social and political levels of the novel from the extreme poverty of the Algerian people due to the oppression of the French, the fatal cultural weakness, people's efforts to change the situation, and other social and political contexts that influenced Muhammad Dib and caused the writing of this wonderful novel.

Keywords: Sociological Study, Structuralism, Muhammad Dib, Al-Hariq.

- * Assistant Professor, Department of Arabic Language, Qom University (Corresponding author)
a.montazeri@qom.ac.ir
- ** Assistant Professor, Department of Arabic Language, Farhangian University
mr.tavakoli@cfu.ac.ir
- *** Professor, Department of Arabic Language, University of Tehran
btaheriniya@ut.ac.ir